

## البيئة النموذجية في ضوء القرآن الكريم (دراسة استقرائية تحليلية)

## The Model Environment in the Light of the Holy Quran (An Inductive Analytical Study)

إعداد الدكتور/ خلف بن أحمد جابر البطحي

كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية

Email: [mzv.0.8.0@gmail.com](mailto:mzv.0.8.0@gmail.com)

## ملخص البحث:

يتناول هذا البحث إظهار عناية القرآن الكريم بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان، وسبل الحفاظ عليها وإصلاحها، وبيان أثرها النفسي والاقتصادي على حياة الإنسان، وأنّ الحف، كما يهدف إلى بيان دور الفرد والمجتمع في تنمية البيئة، والمراد هنا البيئة الزراعية دون غيرها فهي محل الدراسة. ونظراً لطبيعة البحث فسيتمتع الباحث على المنهج الاستقرائي الموضوعي، حيث سيقوم باستقراء الآيات المتعلقة بالبيئة الزراعية، ثمّ تتبع أقوال المفسرين حول الآيات من خلال تفاسيرهم بالدرجة الأولى، ثمّ الرجوع لما كتبه غيرهم في المجالات الأخرى، ثمّ سيقوم الباحث باستخدام المنهج التحليلي لتحليل النصوص القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، وإبراز علاقتها بالبيئة النموذجية في القرآن الكريم.

ويأتي هذا البحث مؤكداً أهمية الغطاء النباتي ودوره في مكافحة التصحر، وكذلك دوره في حفظ الضروريات التي جاءت الشريعة بوجوب الحفاظ عليها، وكذلك تصوير البيئة النموذجية التي تنطلق معالهما من هدي القرآن الكريم. وقد عنونت له بـ " البيئة النموذجية في ضوء القرآن الكريم ". ليفضي البحث بعد العرض- إلى خاتمة- يقدم فيها خلاصته. ومجموعة من التوصيات والتي من أبرزها: ضرورة السعي إلى تحقيق البيئة النموذجية التي ذكرها القرآن، ومن ذلك التعاون المجتمعي والمؤسسي لتحقيق أهداف وطموحات مبادرة سمو ولي العهد (السعودية الخضراء)، ضرورة التوعية عبر المنابر الدينية والإعلامية ووسائل التواصل بوجوب المحافظة على البيئة واعتبار ذلك واجب ديني وأخلاقي ووطني، حتى يكون لدينا أجيال قادرة على التعامل مع البيئة وفق منهج القرآن الكريم، التشجيع على المساهمة الفردية والجماعية في تنمية البيئة الزراعية من خلال الزرع والغرس سواءً تشجير الطرقات والشوارع، وتجميل المباني والمسكن بالأزهار والورود والأشجار، إقامة دورات تطوعية توعوية تبيين مظاهر عناية القرآن بالبيئة وأهمية الحفاظ عليها، وبيان أضرار التصحر الناتجة عن إتلاف الغطاء النباتي.

**الكلمات المفتاحية:** أوصاف البيئة النموذجية، مقاصد القرآن، المحميات، الزراعة والتشجير.

## The Model Environment in the Light of the Holy Quran (An Inductive Analytical Study)

### Abstract:

This research deals with showing the care of the Holy Quran for the environment in which man lives, and ways to preserve and repair it, and explaining its psychological and economic impact on human life, and that preservation, as it aims to explain the role of the individual and society in developing the environment, and what is meant here is the agricultural environment and nothing else, which is the subject of the study. Due to the nature of the research, the researcher will rely on the objective inductive approach, as well as the analytical approach to analyze the Quranic texts related to the subject of the study.

This research comes to emphasize the importance of the vegetation cover and its role in combating desertification, as well as its role in preserving the necessities that the Sharia came to be required to preserve, as well as depicting the model environment whose principles are based on the guidance of the Holy Quran. I titled it "The Model Environment in the Light of the Holy Quran". The research leads - after the presentation - to a conclusion - in which it presents its summary. And a set of recommendations, the most prominent of which are: the necessity of striving to achieve the model environment mentioned in the Qur'an, including community and institutional cooperation to achieve the goals and ambitions of His Highness the Crown Prince's initiative (Green Saudi Arabia), the necessity of raising awareness through religious and media platforms and means of communication about the necessity of preserving the environment and considering this a religious, moral and national duty, so that we have generations capable of dealing with the environment according to the approach of the Holy Qur'an, encouraging individual and collective contributions to developing the agricultural environment through planting and planting, whether planting roads and streets, or beautifying buildings and homes with flowers, roses and trees, holding voluntary awareness courses that show the manifestations of the Qur'an's care for the environment and the importance of preserving it, and explaining the damages of desertification resulting from the destruction of the vegetation cover.

**Keywords:** Descriptions of the typical environment, objectives of the Qur'an, reserves, agriculture and afforestation.

## 1. المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين. أما بعد:  
فإن الناظر في القرآن الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ يرى أنه قد رسم لنا منهج الحياة، وعالج جميع جوانبها، في شمولية تضمن للإنسان حياة متوازنة، ومن تلكم الجوانب التي أولاها القرآن اهتمامًا بالغًا البيئة الزراعية فوجد أنه قد تحدث في آيات كثيرة عن الزرع والنبات وأكد على أهميته، ودعا الإنسان إلى الزرع والغرس، وأمره بصيانته والمحافظة عليه، وحذّر من قطعه وإتلافه، وعدّ إهلاكه من عمل المفسدين، ورثب الثواب الجزيل لمن زرع وغرس.

### 1.1. مشكلة البحث:

يرى البحث أنّ ما تواجهه البشرية اليوم من مشكلات وكوارث بيئية هو بسبب غياب الوعي والحس بمنهج القرآن الكريم في التعامل مع البيئة والحفاظ عليها، والذي نتج عنه تصرف الإنسان وسلوكياته السيئة تجاه البيئة. ولهذا كان من الواجب القيام بدراسة شاملة وموضوعية مستنبطة من هدي القرآن الكريم للكشف عن عناية القرآن الكريم بالبيئة ووسائل المحافظة عليها.

وأما الأسئلة التي يسعى البحث للإجابة عليها فهي: ما معنى البيئة ومفهومها في القرآن الكريم؟ وكيف صور القرآن الكريم البيئة النموذجية؟ وما هي مظاهر عناية القرآن بالبيئة النموذجية؟ وما هو دور الزراعة في تجميل البيئة، ومدى تأثيرها على الحالة النفسية، والتنمية الاقتصادية؟ وما هي معالم البيئة النموذجية التي ذكرها القرآن؟

### 2.1. أهمية البحث وأهدافه:

يسعى البحث إلى تحقيق عدة أهداف منها: بيان معنى البيئة في القرآن الكريم، وعرض البيئة النموذجية كما صورها القرآن، وإبراز دور القرآن الكريم في العناية بالبيئة، وإظهار دور الزراعة في جمال البيئة وانعكاسه على صحة الإنسان النفسية، وحياته الاقتصادية، والكشف عن البيئة النموذجية التي صورها القرآن.

### 3.1. منهج البحث:

نظراً لطبيعة البحث فسيعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي الموضوعي، حيث سيقوم باستقراء الآيات المتعلقة بالبيئة الزراعية، ثمّ تتبع أقوال المفسرين حول الآيات من خلال تفاسيرهم بالدرجة الأولى، ثمّ الرجوع لما كتبه غيرهم في المجالات الأخرى، ثمّ سيقوم الباحث باستخدام المنهج التحليلي لتحليل النصوص القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، وإبراز علاقتها بالبيئة النموذجية في القرآن الكريم.

### التمهيد وفيه: بيان المقصود بالبيئة ومرادفاتها في القرآن الكريم.

في هذا المبحث أبين أمرين: مفهوم البيئة، ومرادفها في القرآن الكريم:

### المطلب الأول: المقصود بالبيئة لغة واصطلاحاً:

فالبينة لغة: اسم مشتق من الفعل الماضي: (بَاءَ)، و(بَوَأَ)، ومضارعه: (يَبُوءُ)، وأشهرُ معانيه الذي يعنينا هنا بمعنى ينزل ويقوم. وتبوات منزلاً بمعنى نزلته وحللت فيه، والبيئة، والباءة، والمباءة: المنزل<sup>(1)</sup>.

(1) لسان العرب (39/1)، القاموس المحيط (109/1)

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ..﴾ [يوسف:56] أي: "يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء بعد الحبس والضيق" (2).

وفي المعجم الوسيط: "البيئة: المنزل، والحال. ويقال: بيئة طبيعية، وبيئة اجتماعية، وبيئة سياسية" (3)  
اصطلاحاً: عرفها بعضهم بأنها: الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من ظواهر طبيعية وبشرية ويتأثر بها ويؤثر فيها (4)، جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً﴾ [الأعراف:74]، وقال تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً﴾ [الحج:26].  
وعرفها آخرون بأنها: "المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية - ويدعى أيضاً بالمحيط الحيوي- الذي يتضمن بمعناه الواسع العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية والإنسانية التي تؤثر على أفراد وجماعات الكائنات الحية، وتحدد شكلها وعلاقاتها وبقائها" (5).

ويظهر مما سبق أن البيئة لها معنيان: الأول: المعنى الواسع والشامل وهو البيئة الطبيعية والبشرية وكل ما يحدث فيها من تأثيرات من كلا الطرفين، والثاني: المعنى الضيق وهو النظر في الموارد الطبيعية التي أودعها الله من ماء وهواء ونبات وحيوان وغير ذلك، والذي يميل إليه الباحث هو أن البيئة بمعناها الشامل هو الأقرب إلى الصواب لارتباط كل منهما بالآخر وتأثره به سلباً وإيجاباً.

### المطلب الثاني: مرادف كلمة البيئة في القرآن الكريم.

لم ترد كلمة " البيئة " في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة، لكن مدلولها كان مرتبطاً دائماً بكلمة الأرض في القرآن الكريم، فقد استخدم القرآن بدلاً من كلمة البيئة مصطلح الأرض للدلالة على المحيط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، شاملة ما عليها من جبال وسهول، وما فيها من نباتات وحيوانات، وما حولها من كواكب وأجرام (6).

وقد وردت كلمة الأرض في القرآن الكريم ما يقرب من (545) مرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ تُتَّخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بَيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:74]، وقوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:61]، قال الجصاص: "نسبهم إلى الأرض؛ لأن أصلهم وهو آدم خلقه من التراب، والناس كلهم من آدم . وقيل: إنَّ معناه إنه خلقكم في الأرض، وقوله " وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا " يعني: أمركم بعمارته بما تحتاجون إليه، وفيه دليل على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية" (7).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ..﴾ [البقرة:29]، قال أبو بكر بن العربي: " فخلقه سبحانه وتعالى الأرض، وإرساؤها بالجبال، ووضع البركة فيها، وتقدير الأقوات بأنواع الثمرات وأصناف النبات إنما كان لبني آدم؛ تقدمه لمصالحهم،

(2) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (220/13).

(3) المعجم الوسيط (57/1). وهو معجم عربي من تأليف أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة.

(4) ينظر: البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث ص 8

(5) المدخل إلى العلوم البيئية ص 13.

(6) ينظر: الإسلام وحماية البيئة ص 24.

(7) ينظر: أحكام القرآن (234/4).

وأهبة لسدّ مفارقهم...؛ للتنبيه على القدرة المهيّبة لها للمنفعة والمصلحة، وأنّ جميع ما في الأرض إنّما هو لحاجة الخلق؛ والبارئ تعالي غنيّ عنه متفضل به<sup>(8)</sup>.

ومن ثمّ فإنّ علماء المسلمين لم يستخدموا كلمة (البيئة) استخداماً اصطلاحياً إلا منذ القرن الثالث الهجري وربما كان ابن عبد ربه صاحب كتاب (العقد الفريد)، هو أقدم من نجد عنده المعنى الاصطلاحي للكلمة في كتاب (الجمانة) ويقصد به الإشارة إلى الوسط الطبيعي والجغرافي والمكاني والإحيائي الذي يعيش فيه الكائن الحي بما في ذلك الإنسان، وللإشارة إلى المناخ الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والفكري المحيط بالإنسان<sup>(9)</sup>.

ويتبين من خلال ما سبق أنّ البيئة في المدلول القرآني هي الأرض، وقد حفل القرآن بالحديث عن الأرض في معرض التأكيد على عمارتها مما يؤيد أنّ البيئة في المدلول القرآني هي الأرض بما عليها من مكونات وما في جوفها من مسخرات، وعلى ضوء ذلك يمكن القول بأنّ: "البيئة في المصطلح الإسلامي هي الأرض وما يتصل بها ويؤثر فيها باعتبارها منزل إقامة الإنسان إلى حين، وهي تشمل البر والبحر والجو، وهي لا تقتصر على ما هو مشاهد من مكونات ومسخرات وإنما تتعداه إلى ما هو غائب؛ لأنّ الله سمي الجنة أرضاً في القرآن وهي من المغيبات، وبذلك يشمل مسمى البيئة في الإسلام عالمي الشهادة والغيب إلا أنّ البحث سيقصر على عالم الشهادة، والبيئة الزراعية على وجه الخصوص.

### المبحث الثاني: طبيعة البيئة النموذجية في ضوء القرآن الكريم.

أكد الإسلام على أهمية البيئة التي يعيش فيها الإنسان، فأرسى قواعدها ورسخ قوائمها، وحينما نمنع النظر نجد أنّ القرآن رسم معالم البيئة الزراعية النموذجية الصالحة لعيش الكائنات الحية عموماً، والإنسان خصوصاً، وأشار إلى أبرز صفاتها وجعلها مضرب المثل في وفرة مائها، وخصوبة تربتها، وتنوع أشجارها، ووفرة ثمارها، وجمالها وحسنها وبيان ذلك في الطالب التالية:

#### المطلب الأول: وصف القرآن لطبيعة الأرض النموذجية.

كثيراً ما يوظف القرآن الكريم البيئة النموذجية لضرب الأمثلة، وكأنه يشير من طرف خفي إلى ما ينبغي أن تكون عليه البيئة الزراعية التي هي عطاء الله للإنسان، وإليك هذه الأمثلة التي ضربها الحق عز وجل ليرسم لنا أنموذجاً فريداً في صفة الأرض الطيبة:

**المثال الأول:** قول الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف 58].

ذكر الطبري: القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، أي والبلد، الطيبة تربته العذبة مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث، وأرسل عليه الحيا بإذنه، طيباً ثمره في حينه ووقته، وقوله تعالى ﴿وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾ أي والذي خبث فردت تربته وملحت مشاربه لا يخرج نباته إلا نكدا<sup>(10)</sup>.

وجاء في تفسير القرطبي: قوله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾، أي التربة الطيبة والخبثية التي تربتها حجارة أو شوك؛ وقيل: معناه التشبيه، شبه تعالي السريع الفهم بالبلد الطيب،

(8) ينظر: أحكام القرآن (25/1).

(9) المسؤولية عن الأضرار الكلية ص 312.

(10) جامع البيان (243/5)

ومتبلد الفهم بالذي خبث؛ وقيل: هذا مثل للقلوب؛ فقلب يقبل الوعظ والذكر، وقلب فاسق ينبو ويعرض عن ذلك (11).

وذكر ابن كثير في تفسير قوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي والأرض الطيبة يخرج نباتها سرعيا حسنا، وقوله تعالى ﴿وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ قال مجاهد وغيره كالسباخ ونحوها (12).

وجاء في فتح القدير: قوله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، أي التربة الطيبة يخرج نباتها بإذن الله وتيسيره إخراجا حسنا تاما وافيا، ﴿وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي والتربة الخبيثة لا يخرج نباتها إلا نكدا، أي لا خير فيه (13).

ومن الدلالات العلمية التي يمكن استنباطها من معاني ما ذكره أهل التفسير في صفة الأرض الطيبة وما ينتج منها، خروج النبات طيبا، والذي تشير إليه الآية الكريمة من قوله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ...﴾ إلى أن البلد، الطيبة تربته، العذبة مشاربه (14) يخرج نباته بإذن الله وتيسيره إخراجا حسنا تاما وافيا في حينه ووقته (15). كما يشير قوله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ إلى خروج النبات طيبا - بحول الله وقدرته - من خلال وسط بيئي موزون، كما أشار المولى عز وجل إلى ذلك في موضع آخر قائلا ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [سورة الحجر: 19]. ويعتبر هذا التقدير الدقيق هو الأصل في خلق الله عز وجل للنبات الطيب، وهو الظاهرة العامة في توازن الوسط البيئي كما بين المولى سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: 49]، وقال عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [سورة الحجر: 21].

ونلاحظ أن القرآن الكريم بين أن الأرض تختلف من نوع إلى نوع فقال تعالى في سورة الرعد ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الرعد: 4]. قال القرطبي: وفي الأرض قطع متجاورات هذه طيبة تنبت ما ينتفع به الناس، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئا (16)، وهذا الإعجاز القرآني وصل إليه علماء الزراعة في هذا القرن أن الأراضي تختلف باختلاف عناصرها فيها، فمنها الطيبة ومنها السبخة المالحة التي تحتوي على نسبة عالية من الأملاح كملح كلوريد الصوديوم لا تنبت زرا ولا كلاً (17).

**المثال الثاني:** قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (265) ﴿أَبُودُ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَرُونَ﴾ [البقرة: 265-266].

هذا مثل آخر ضربه الحق عز وجل فيه نوع تفصيل لمبادئ البيئة النموذجية، وبيان لكرم الأرض الطيبة في الإنبات والزرع، ويشير إلى هذا القرطبي بقوله: وفي هذا تأكيد منه تعالى لمدح هذه الربوة بأنها إن لم يصبها وابل فإن الطل يكفيها وينوب مناب الوابل في إخراج الثمرة ضعفين،

(11) الجامع لأحكام القرآن (4/247).

(12) تفسير القرآن العظيم (3/153).

(13) فتح القدير (2/116).

(14) كما جاء في تفسير الطبري (5/243).

(15) كما جاء في تفسير فتح القدير (2/116).

(16) الجامع لأحكام القرآن (4/254).

(17) عوامل التأثير على المحاصيل الزراعية- المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- المجلد الثالث - المحور الثالث- 2004.

وذلك لكرم الأرض وطيبها<sup>(18)</sup>، وقال الألويسي أيضاً. والمُرَاد أنَّ خيرها لا يخلف على كل حال لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها<sup>(19)</sup>، ومن الدلالات التي حوتها الآيتان الكريمتان ما يلي:

1- حسن توظيف القرآن الكريم للأرض والبيئة الزراعية في جعلهما مثلاً على كرم الله تعالى مع خلقه في مجازاتهم على الأعمال الصالحات، وقد أشرنا إلى ذلك منذ قليل.

2 - قوله تعالى: ﴿جَنَّةٍ بَرْبُورَةٍ﴾ يشير إلى أنَّ أجود النباتات ما كان في مكان مرتفع عن الأرض، وفيه من الفوائد ما فيه . وإليك بعضاً من هذه الفوائد:

- البعد عن تملح التربة الذي يسبب نوعاً من التصحر.
- استقبال أشعة الشمس فلا يحجبها عن الشمس حاجب مما يساعد على اكتمال عملية البناء الضوئي للنبات بصورة جيدة.
- استقبال الماء من جهة العلو أجود أنواع الري لأنه يغسل الأوراق التي هي بمثابة الرنتين للنبات، وعندئذ تنفس الأوراق فيعود لها نضارتها وحيويتها فتؤدي عملها بكفاءة واقتدار.
- جودة الصرف ومعلوم أنَّ الصرف للتربة الزراعية كالإخراج بالنسبة للأدمي فهي ولا شك من ضروريات العملية الزراعية ولا تستغني عنه أرض زراعية وإلا أصيبت بتملح التربة مما يؤثر سلباً على جودة المنتج من النباتات.

3 - قوله تعالى: ﴿أَصَابَهَا وَاِبِلٌ﴾ يشير إلى أنَّ وفرة المياه مهم جداً لنمو النبات بطريقة صحية حيث يأخذ النبات الكمية التي يحتاجها ويطرح عنه ما لا يحتاجه دون أن يضطر النبات لعمليات اختزان تحسباً من الجفاف وغيره، فهو نبات يضمن وفرة المياه فيعطي بسخاء<sup>(20)</sup>.

وقد أشار الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله في تفسيره إلى جانب مما ذكرناه فقال في تناوله لهذه الآية الكريمة: "وعندما تكون الجنة بربرة عالية فمعنى ذلك أنَّها محاطة بأمكنة وطيبة ومنخفضة عنها، فماذا يفعل المطر بهذه الجنة التي توجد على ربوة؟ وقد أخبرنا الحق بما يحدث لمثل هذه الجنة قبل أن يتقدم العلم الحديث ويكتشف آثار المياه الجوفية على الزراعة.

فهذه الجنة التي بربرة لا تعاني مما تعاني منه الأرض المستوية، ففي الأرض المستوية قد توجد المياه الجوفية التي تذهب إلى جذور النبات الشعيرية وتفسدها بالعطن، فلا تستطيع هذه الجذور أن تمتص الغذاء اللازم للنبات، فيشحب النبات بالاصفرار أولاً ثم يموت بعد ذلك، إنَّ الجنة التي بربرة تستقبل المياه التي تنزل عليها من المطر، وتكون لها مصارف من جميع الجهات الوطية التي حولها، وترتوي هذه الجنة بأحدث ما توصل إليه العلم من وسائل الري، إنَّها تأخذ المياه من أعلى، أي من المطر، فتتزل المياه على الأوراق لتؤدي وظيفة أولى وهي غسل الأوراق.

إنَّ أوراق النبات - كما نعلم - مثل الرئة بالنسبة للإنسان مهمتها التنفس، فإذا ما نزل عليها ماء المطر فهو يغسل هذه الأوراق مما يجعلها تؤدي دورها فيما نسميه نحن في العصر الحديث بالتمثيل الكلوروفيلي. وبعد ذلك تنزل المياه إلى الجذور لتذيب العناصر اللازمة في التربة لغذاء النبات، فتأخذ الجذور حاجتها من الغذاء المذاب في الماء، وينزل الماء الزائد عن ذلك في المصارف المنخفضة.

(18) الجامع لأحكام القرآن (275/2).

(19) روح المعاني (387/1).

(20) راجع أهمية التنوع الأحيائي في البيئة مقال للدكتور عبد البديع حمزة. مجلة الهيئة العالمية للإعجاز. العدد (26).

وهذه أحدث وسائل الزراعة الحديثة، واكتشفوا أنّ المحصول يتضاعف بها (21).

### المطلب الثاني: الطريقة النموذجية للزراعة من خلال القرآن.

النظام الزراعي في القرآن مبني على تنوع المحاصيل، بما يحقق التوازن في هذا النظام البيئي، فنجد أنّ القرآن حينما يذكر الجينات يبين تنوع أشجارها وثمارها يقول تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهَ لَقَادِرُونَ ﴾ (18) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ 19 وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّائِلِينَ ﴾ [المؤمنون: 18-19]، ويقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ 11 ﴾ [النحل: 10-11]، ويقول تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (24) أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿ 25 ﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿ 26 ﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿ 27 ﴾ وَعَنْبًا وَقَضَبًا ﴿ 28 ﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿ 29 ﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿ 30 ﴾ [عبس: 24-30].

ونلاحظ أيضاً أنّ القرآن الكريم ركز في العديد من المواقع على عدة أنواع من المحاصيل التي يعرفها العرب مثل الرمان، الزرع، العنب، الزيتون والنخيل وهي أصناف مقاومة للظروف المناخية الصعبة وتتلاءم مع مختلف أصناف التربة. والنخيل الذي أولاه القرآن عناية خاصة، فيه من الإعجاز ما أطل في وصفه الباحثون والعلماء (22).

فانظر كيف رسم القرآن الكريم - عَرَضاً - صورة للبيئة النموذجية أو ما ينبغي أن يكون عليه الحال في البيئة الزراعية، وقرر منذ أربعة عشر قرناً ما أكدته الدراسات الحديثة في سبق علمي معجز.

### المطلب الثالث: دعوة القرآن للزراعة والتشجير، وتأصيل نظام المحميات.

كانت دعوة القرآن لإقامة بيئة خضراء نموذجية مبادرة صريحة حشد فيها كماً من المحفزات على هذا العمل من خلال الحث على الحرث والزرع، والنهي عن الإفساد في الأرض، ويتضح ذلك فيما يلي:

#### - الحث على الزرع، والنهي عن قطعه وإفساده.

لقد حدد القرآن الكريم الغاية من مجيء الإنسان إلى هذا الوجود وحصرها في تحقيق مهمة كبيرة هي الخلافة عن الله، وتحقيق مراده من إعمار الأرض، يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: 61]، ومن أبرز الأعمال الإيمانية الضرورية، غرس النباتات ذات الوظائف المتعددة، ومن أجل أن يتحقق هذا الهدف أشار إلى نعمته بإنبات ما يزرعه في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (63) أَلَنْتُمْ تَرْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ { [الواقعة: 63، 64]، وقال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: 15]، قال القرطبي في تفسير الآية: أي سهلة تستقرون عليها...، وفيها الإشارة إلى التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والأنهار وحفر الآبار (23)، قال ابن كثير: يذكر الله نعمته على خلقه في تسخيرها لهم الأرض وتذليلها لهم، ... وهيا فيها من المنافع ومواقع الزروع والثمار، ولهذا يجب المشي والسفر في أقطارها، والتردد في أرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، بحثاً وسعيًا في طلب الرزق (24)، وقد انتهج الإسلام منهج قوي في الدفع بالمؤمنين إلى الانخراط في تحقيق الإعمار بالغرس فرتب على ذلك الثواب العظيم فقد روى أنس بن مالك عن النبي

(21) تفسير الشعراوي (267/1).

(22) المدخل إلى العلوم البيئية ص 76.

(23) الجامع لأحكام القرآن (254/9).

(24) تفسير القرآن العظيم (252/5).

صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)<sup>(25)</sup>، ومن النصوص التي دعا فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى مواصلة الزرع والغرس في كل الظروف والأحوال ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)<sup>(26)</sup>.

وفي المقابل نجد أن القرآن الكريم نهى عن الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِغَدِّ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56]، وإن كان المراد بالفساد هو الكفر والمعاصي في بادئ الأمر، إلا أنه يدخل فيه فساد العيش والبيئة. قال ابن كثير -رحمه الله -: ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك؛ كان أضر ما يكون على العباد<sup>(27)</sup>، وقال أبو حيان: هذا نهى عن إيقاع الفساد في الأرض، وإدخال ماهيته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه من إيقاع الفساد في الأرض: إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان<sup>(28)</sup>، وقال السعدي -رحمه الله -: فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق...<sup>(29)</sup>.

وعلى حين يبينها القرآن الكريم باستمرار إلى ذلك البعد الرباني للحفاظ على البيئة، فإنه يؤكد على أن الإنسان الذي هو خليفة ومسئول عن كل أعماله الحسنة منها والسيئة سوف يحاسب يوم القيامة عن كل تصرفاته حيال هذه الأمانة. فالحساب يوم القيامة لن يكون على العلاقة بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان والمجتمع وحسب؛ بل وعلى العلاقة بين الإنسان والبيئة أيضا

#### - سبق القرآن إلى تخصيص محميات طبيعية.

عند الحديث عن الحمى يجدر بنا الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد سبق إلى إيجاد أول محمية طبيعية مفتوحة يتعايش فيها الإنسان مع حيوان الصيد والنبات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: 67]، وجاءت السنة النبوية مبينة ومؤكدة على حرمتها فقد خصَّ النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحرَّمها بمنع قطع أشجارها وأعشابها، التي لا يستنبتها الإنسان، فقال - صلى الله عليه وسلم -: (لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا)<sup>(30)</sup>، وخصَّ صلى الله عليه وسلم كذلك حرم المدينة النبوية فقال: (المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يُقَطَّعُ شَجَرُهَا)<sup>(31)</sup>. هذا وقد أوضح القرآن الكريم مبادئ العناية بالبيئة الزراعية النموذجية، وحدد في الوقت نفسه سوء استغلالها وسرعة استنزاف مواردها لما فيه من ضرر بالغ للبشرية جمعاء، فضلا عن كونه كفر بأنعم الله، ولا ريب أن الكفر بأنعم الله مدعاة إلى المآسي والكوارث وسبب مباشر في الجوع والخوف.

#### المبحث الثالث: البيئة النموذجية ودورها في حفظ الضروريات في ضوء القرآن الكريم.

اهتمَّ الشرع الحكيم بتشجير الأرض وتخضيرها بالنباتات والزرع اهتمامًا كبيرًا، تجاوز حدود الرعاية الفردية إلى تأصيل فهم جماعي يسهم في إيجاد بيئة متوازنة تقوم على أساس تعزيز الأمن البيئي وتحافظ على مقومات العيش الذي يلبي حاجيات الإنسان؛

(25) صحيح البخاري 41 - كتاب المزارعة. باب فضل الزرع والغرس. رقم 2320 ج 3 ص 103.

(26) مسند الإمام أحمد بن حنبل - رقم 12981 ج 20 ص 296، البخاري: الأدب المفرد بالتعليقات - 222- باب اصطناع المال - رقم 479.

(27) تفسير القرآن العظيم (257/4)

(28) البحر المحيط (113/4).

(29) تيسير الكريم الرحمن (262/1).

(30) صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب الإذخر والحشيش في القبر - رقم 1349 ج 2 ص 92.

(31) المرجع السابق- كتاب فضائل المدينة - باب حرم المدينة - رقم 1867 ج 3 ص 20.

ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2]، وفي حديث القرآن عن الزراعة والتجشير بيان لمقاصد الشريعة التي جاءت بحفظها، وفي هذا المبحث نحاول أن نقف على بعض الإشارات المقاصدية المستقاة من حديث القرآن عن الزراعة والتجشير وكيف تربط ذلك بمقاصد الشريعة التي جاءت بحفظها. وعلم المقاصد له أهمية بينها الشاطبي بقوله: لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدتها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين<sup>(32)</sup>، ولهذا نجد أن الشريعة جعلت الاعتناء بما يسهم في إعمار الأرض من تشجير وتخضير أمراً تعبدياً، يترتب عليه الأجر والجزاء الأخروي. وفيما يلي بيان مقاصد الشريعة في الحث على الزرع والتخضير.

### المطلب الأول: دور الزراعة والتشجير في حفظ مقصد الدين.

إنَّ الحفاظ على البيئة السليمة، والمحيط المتوازن واجب شرعي؛ لما فيه من المحافظة على مبدأ الاستخلاف في الأرض، لذا فالتعدي على البيئة عموماً ينافي هذا المبدأ، لما فيه من الإيذاء، وقد سبق معنا بيان هدي القرآن في الحث على الزراعة وأنها من إعمار الأرض، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (63) ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: 63، 64]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، ونهيه عن الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: 205] والسنة وضحت ذلك أيما إيضاح فقد روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من مسلمٍ يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلاَّ كان له به صدقةً)<sup>(33)</sup>.

### المطلب الثاني: دور الزراعة والتشجير في حفظ مقصد النفس.

يرتبط وجود الإنسان في هذه الحياة بتوفير وسائل العيش كالأكل والشراب، وهي وسائل لإقامة مقصد حفظ النفس البشرية، ترتبط بالشجر والزرع ارتباطاً أصلياً بأصل، فما يخرج من الأرض بأمر الله يرتبط بالزرع والغرس والنبات، تنتفع به النفس الإنسانية لتقيم صلبها في تحقيق المقصد العام من الخلق، فارتباط الحياة الإنسانية بالشجر والخضرة عموماً لا يقتصر على التغذي مما يخرج منها من ثمر وزرع مباشرة، بل يمتد إلى التغذي بما يعيش عليها، كالبهائم التي تقتات مما تُخرج الأرض، وهو ضرورة من ضروريات حياته ووجوده، وبالتالي فالعناية بنظام التشجير والتخضير والزرع يسهم في حفظ النفس البشرية، ويكفل لها استمرار البقاء، وفوائد التشجير والخضرة تتعدى ضرورة الأكل والشرب إلى فوائد أخرى أشار إليها القرآن الكريم منها: التدفئة وإنتاج الطاقة في قوله سبحانه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (71) ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: 71-72]، وهي حِصْنٌ دَافِيٌّ لِإِبْوَاءِ الْحَشِيرَاتِ وَالطَّيُورِ وَبَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ، والعسل الذي ينتجه النحل من النباتات والأزهار، قال تعالى مشيراً إلى ذلك ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (68) ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (69) [النحل: 68-69]،

(32) الموافقات: (8/2).

(33) صحيح البخاري - كتاب المزارعة. باب فضل الزرع والغرس. رقم 2320 ج 3 ص 103.

ويتمد نفع التشجير والتخصير في بنائه المقصدي في استخدام الأشجار للاحتماء من حرارة الشمس والارتفاع بظلها للوقاية من حرارة الشمس المفرطة، وما له من أثر في إحياء النفوس والحفاظ عليها، كما أكدت الدراسات العلمية الحديثة ما يحققه التشجير وإحداث المناطق الخضراء «من تأثير مباشر على صحة الإنسان من خلال العمل على تلطيف الجو وإيجاد التوازن المناخي. وإهمال التشجير في المقابل قد ينعكس سلباً على صحة الإنسان.

### المطلب الثالث: دور الزراعة والتشجير في حفظ مقصد العقل (الدعوة للنظر والتأمل).

إن من مقاصد القرآن في ذكر الزراعة والتشجير لفت عقول العباد في التعرف على القدرة المطلقة لخالقها قال تعالى داعياً للتفكير والتأمل في هذه الآية العظيمة ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ كَلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُنْتَلِبَةٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَلآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام 99] قال البراء بن عازب، وابن عباس، والضحاك، وعطاء الخرساني، والسدي، وقتادة، وغيرهم. أي: فكروا في قدرة خالقها من العدم إلى الوجود، بعد أن كان حطبا صار عنباً ورطباً وغير ذلك، مما خلق تعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح<sup>(34)</sup>.

والمعنى انظروا في هذه الثمار البانعة ذات الروائح الزكية والأشكال والطعوم، فإن ﴿فِي ذَٰلِكُمْ لَلآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وأما الذين لا يؤمنون، فلا تنفع معهم آيات كونية ولا قرآنية؛ لأنَّ أبصارهم وقلوبهم عميت عن الحقائق بسبب كفرهم وذنوبهم.

ومن مقاصد ذكر النبات في القرآن تحقيق اليقين، وتحصيل القناعة والاعتقاد بحقيقة الآخرة والبعث من خلال الربط بين مراحل حياة النبات ومراحل حياة الإنسان، والاستدلال بعالم النبات على قدرته تعالى وإبداعه ووحديته، وعلى البعث والنشور، قال تعالى: ﴿وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف 45] قال ابن كثير: لما ذكر تعالى المخالف للبعث، المنكر للمعاد، ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد، بما يشاهد من بدئه الخلق<sup>(35)</sup>.

### المطلب الرابع: دور الزراعة والتشجير في حفظ مقصد المال.

لقد أعلن القرآن الكريم دعوته الأكيدة على ضرورة العمل، وعلى الكسب، وبذل الجهد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10]، والله تعالى خلق الأرض، وملاها بالنعم والخيرات لأجل أن يعيش الإنسان ويزرع ويحصد حتى يحصل على المال قال تعالى: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَقَجَزْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35) [يس: 33-35]، فنلاحظ أنَّ في الآية حثُّ على الكسب والعمل ومن أهم مصادر الكسب التي أشارت إليها الآية الزراعة، والتي تحقق للمجتمع الاكتفاء الذاتي من خيرات الأرض من خلال التجارة والبيع والشراء، ويعود أيضاً نفعها في رفع قيمة الأرض وثمرتها، وهو عمل يخدم مقاصد الشريعة في إطار كلية المال لأنه يحقق تنمية مستدامة، ويرتبط بوسيلة تحقق منفعة لمالك الأرض ومنفعة للمستفيدين من النظام عموماً.

(34) ينظر: جامع البيان (243/5)، الجامع لأحكام القرآن (254/4).

(35) تفسير القرآن العظيم (241/5).

**المبحث الرابع: البيئة النموذجية ودورها في تجميل البيئة، والمحافظة على صحة الإنسان في ضوء القرآن الكريم.**

فالأشجار والنباتات بالإضافة إلى أهميتهما في حفظ البيئة وحمايتها من التلوث فإنَّ لهما دور فعال في تجميل البيئة، وإثارة البهجة والسرور في النفوس الإنسانية، وتفصيل ذلك فيما يلي:

**المطلب الأول: دور الزراعة والتشجير في تجميل البيئة.**

الزراعة والتشجير رمز للجمال، وتعتبر من أهم الزينات التي تزين الأرض، جبالها وسهولها ووديانها وحدائقها ومساكنها وشوارع مدنها، وهي محل ضرب الأمثال الجمالية في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) ﴾ [إبراهيم: 24 - 25].

ويؤكد لنا القرآن الكريم حرصه على إثارة العنصر الجمالي في الزراعة والأشجار والحدائق في قول الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعْدِلُونَ ﴾ {النمل: 60}

إنَّ تلك الصبغة الجمالية التي تميز الطبيعة على اختلاف مكوناتها ليست إلا تطبيقاً لقاعدة عامة أقرها الله تعالى في كل ملمح من ملامح الكون، كما أحب لعباده أن يتخلقوا بها.. تلك هي قاعدة (الجمال)! وذلك كما روى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جميل يحب الجمال) (36).

ولقد أعطت العديد من الآيات القرآنية وصفاً جميلاً للجنة وما بها من متع أعدها الله لعباده الصالحين، كان منها تلك الحدائق والأشجار.. حيث يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِجًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) ﴾ [النبأ] ويفسر ابن عباس الحدائق بأنها ما أحيط بالجنة من الأشجار والنخل (37). وجاء في تفسير السعدي: البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية... والثمار التي تنفجر خلالها الأنهار (38).

وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (28) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (29) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (30) وَظِلِّ مَمْدُودٍ (31) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (32) ﴾ [الواقعة]، فلم تقتصر الآيات على ذكر هذين النوعين من الأشجار في الجنة (السدر والطلح) بل تعدت ذلك إلى بيان جوانب جمالية في هذه الأشجار:

فأنت تقرأ وصف السدر بـ (المَخْضُودِ).. وفي ذلك يقول الطبري: السدر المخضود: الذي قد خُصِدَ من شوكه؛ فلا أشواك فيه، أما الطلح المنضود فهو شجر الموز متراكم الثمر، قال السُّدِّي: (مَنْضُودٍ): مصفوف، وقال ابن عباس: يشبه طلع الدنيا، ولكن له ثمرًا أحلى من العسل (39).

كذلك، فإن الـ (ظل الممدود) صفة جمالية في هذا الشجر، فليس من شك أن هذه الجوانب من مد الظل، وتذليل الثمار كلها جوانب جمالية، تمزج المنفعة المادية للشجر بالمنفعة المعنوية..

(36) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه رقم (163).

(37) الجامع لأحكام القرآن (254/17)، تفسير القرآن العظيم (252/5).

(38) تيسير الكريم الرحمن (131/2).

(39) جامع البيان (147/28).

وبناءً على ما سبق، فإنَّ تشجير الطرقات والشوارع بالأشجار والنبات وتجميل المباني والمسكن بالأزهار والورود مطلوب ديني، لأنه نوع من أنواع تجميل البيئة وتزيين لها، وهو مما حث عليه الشرع الحكيم.

### المطلب الثاني: دور الزراعة والتشجير في المحافظة على صحة الإنسان.

للزراعة والأشجار دور رئيسي في الحفاظ على توازن بيئة الأرض واستقرار صحة الإنسان، وتمثل النباتات عموماً المصدر المتجدد للأكسجين في الأرض، ولها دور رئيس في تنقية الجو وتخليصه من الغازات السامة، إضافة إلى فوائد النباتات النفسية وما تدخله من بهجة تشرح صدر الناظر، ولقد أشار القرآن إلى أن الأشجار والنباتات تتصف بالبهجة والسرور ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ نَعْلَمْ بِأَنَّكُمْ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (النمل: 60)، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: 8]، جاء في تفسير الطبري قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قلت لابن زيد (البهيج): هو الحسن المنظر؟ قال نعم (40).

وهناك تجلت حكمة الله أن جعل الأشجار والنباتات تتسم باللون الأخضر، وهذا اللون يحقق الراحة والهدوء النفسي، ومما يؤكد على ذلك أن الله قد جعله لون الوسائد في الجنة قال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: 76]. جاء في تفسير الطبري عن الحسن، في قوله: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: هي البسط الخضراء (41).

ولا شك أن الزراعة والأشجار والحدائق العامة تلعب دوراً حيوياً في تحسين الصحة العقلية والجسدية في المدن، وتوفر مساحات خضراء لممارسة الأنشطة البدنية، مثل الركض، وركوب الدراجات، والمشي، ويمكن أن تساعد هذه الأنشطة في تحسين صحة القلب والأوعية الدموية وزيادة القدرة على التحمل وتقليل خطر الإصابة بالأمراض المزمنة، بالإضافة إلى ذلك، توفر الحدائق فرصاً للتفاعل الاجتماعي، مما يمكن أن يساعد في تحسين الصحة العقلية عن طريق تقليل مشاعر العزلة والوحدة. وقد أظهرت الدراسات أن قضاء الوقت في الطبيعة يمكن أن يكون له أيضاً تأثير إيجابي على الصحة العقلية، مما يقلل من أعراض الاكتئاب والقلق والتوتر، وتمثل دوراً مهماً في الأكل السليم الذي يكسو البدن صحة وعافية، وبشكل عام يعد الغطاء النباتي ومكافحة التصحر ضرورية لتعزيز أنماط الحياة الصحية والحفاظ عليها وتحسين نوعية الحياة لكل الكائنات الحية.

وهذه البيئة النموذجية التي رسم القرآن معالمها هي ما تسعى إليه مبادرة السعودية الخضراء والشرق الأوسط الأخضر، وذلك بالحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية، خاصة مع ما يشهده العالم اليوم من جفاف وتصحر بسبب الاحتطاب، وغيره من أسباب تدهور الغطاء النباتي وملوثات الجو.

واليوم، هناك بعض الجهات الدولية والحكومية تحمل على عاتقها استدامة البيئة وتحسين نمط الحياة للعالم الإنساني والحيواني والنباتي والمقيم، وكان لزاماً توفير المناخ المناسب؛ للاهتمام بالمحميات الفطرية، ورعاية الحيوانات، والسعي لتكاثرها، والحد من الصيد الجائر، وإنشاء محميات جديدة، ونشر ثقافة الحفاظ على البيئة حتى لا يختل توازنها، والله الحمد والمنة.

### 3. النتائج والتوصيات:

- أظهر البحث أن القرآن الكريم أولى البيئة اهتماماً بالغاً، ويظهر هذا من خلال ضرب المثل الحسن على عطاء الله بالبيئة النموذجية، كما رسم مبادئها، ووضع تشريعات تحافظ على البيئة ورتب على ذلك الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

(40) جامع البيان (19/28).

(41) المرجع السابق (112/28).

- أبرز البحث دور القرآن في بيان الطريقة المثلى للزراعة وتشجير الأرض، كما بينت سبق القرآن إلى تأصيل نظام المحميات
- بين البحث طريقة القرآن في إبراز أهمية البيئة النموذجية في حفظ الضرورات وفوائدها الجسدية والنفسية على الكائن الحي عموماً والإنسان خصوصاً.

#### 4. التوصيات:

- ضرورة السعي إلى تحقيق البيئة النموذجية التي ذكرها القرآن، ومن ذلك التعاون المجتمعي والمؤسسي لتحقيق أهداف وطموحات مبادرة سمو ولي العهد (السعودية الخضراء).
- ضرورة التوعية عبر المنابر الدينية والإعلامية ووسائل التواصل بوجوب المحافظة على البيئة واعتبار ذلك واجب ديني وأخلاقي ووطني، حتى يكون لدينا أجيال قادرة على التعامل مع البيئة وفق منهج القرآن الكريم.
- التشجيع على المساهمة الفردية والجماعية في تنمية البيئة الزراعية من خلال الزرع والغرس سواءً تشجير الطرقات والشوارع، وتجميل المباني والمسكن بالأزهار والورود والأشجار.
- إقامة دورات توعوية توعوية تبين مظاهر عناية القرآن بالبيئة وأهمية الحفاظ عليها، وبيان أضرار التصحر الناتجة عن إتلاف الغطاء النباتي .

وصلى الله على محمد وآله

#### 5. مراجع البحث:

- القرآن الكريم (جل منزله وعلا) رواية حفص عن عاصم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1419هـ). صحيح البخاري (اعتنى به: أبو صهيب الكرمي)، طبعة بيت الأفكار الدولية.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (1419هـ). صحيح مسلم (اعتنى به: أبو صهيب الكرمي). طبعة بيت الأفكار الدولية - الرياض.
- الجصاص، أحمد بن علي الرازي. (1415هـ). أحكام القرآن (ضبط النص وخرج آياته: عبد السلام محمد علي شاهين). دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - توزيع: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - الطبعة الأولى.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله. (د.ت). أحكام القرآن (مراجعة وتعليق: محمد عبد القادر عطا). دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى.
- الغرناطي، محمد بن يوسف أبو حيان. (د.ت). البحر المحيط في التفسير. المكتبة التجارية - مكة المكرمة.
- الطبري، محمد بن جرير. (1422هـ). تفسير ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. طبعة دار هجر - تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بالدار - الأولى.
- الدمشقي، الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير تفسير ابن كثير. (1417هـ). تفسير القرآن العظيم: تحقيق أبي إسحاق الحويني - دار ابن الجوزي - الدمام - الأولى.
- البغدادي، العلامة أبو الفضل محمود الألوسي. (1408 هـ). تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر. (1425هـ). تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): اعتنى به سعد بن فواز الصميل - دار ابن الجوزي - الدمام - الأولى
- القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري. (د.ت). تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن). ط: دار الكتاب الإسلامي - الطبعة الثالثة.
- الشوكاني، الإمام محمد بن علي. (1413 هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: تحقيق: سيد إبراهيم - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى.
- الشعراوي، محمد متولي. (1427هـ). تفسير الشعراوي. دار أخبار اليوم.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. (1420هـ). بتحقيق جماعة من المحققين بإشراف الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي - مؤسسة الرسالة - بيروت - توزيع وزارة الشؤون الإسلامية - السعودية - الثانية.
- الأصفهاني، العلامة الراغب. (1412 هـ). مفردات ألفاظ القرآن: تحقيق: صفوان عدنان داوودي - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى.
- الموافقات للشاطبي. (1417هـ). تحقيق مشهور حسن آل سلمان - دار ابن عفان - الخبر - الأولى.
- ابن منظور. (1416 هـ). لسان العرب. دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي - بيروت لبنان - الطبعة الأولى
- أبادي، محمد فيروز. (د.ت). القاموس المحيط: (ت: محمد نعيم). طبعة مؤسسة دار الرسالة.
- مركز الكتاب للنشر. (1423هـ). المدخل إلى العلوم البيئية (الطبعة الأولى). القاهرة.
- دار الغرب الإسلامي. (2003م). مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث. المغرب.
- حمزة، عبد البديع. (1423هـ). أهمية التنوع الأحيائي في البيئة. مجلة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي، العدد (26).

Doi: [doi.org/10.52133/ijrsp.v6.61.11](https://doi.org/10.52133/ijrsp.v6.61.11)